

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٧٩٤ : خ١ - مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ٣ (منهجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، خ٢- استيعاب الحق يغني عن استيعاب الباطل .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-٠٦-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده ، ونستعين به ونسترشد ، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسوله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ، ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا ، وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا مما يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

النبي هو القدوة والمثل في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في الخطبة السابقة بينت لكم بفضل الله عز وجل أن هذه الأمة عند الله خير أمة أخرجت للناس ، ولكن هذه الخيرية التي ذكرت في الآية معللة بشيئين؛ تأمرون بالمعروف ، و تنهون عن المنكر ، و تؤمنون بالله ، وقد قال بعض علماء التفسير : إن تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله ، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظاهران للعيان ، بينما الإيمان في القلب ، فقدم الظاهر على الباطن ، و بينت لكم أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة والمثل في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و ذكرت لكم بعض أساليبه الشريفة في بيان الخطأ ، و بيان الصواب ، وأنتابع هذا الموضوع في هذه الخطبة نظراً لأهميته البالغة ، ولأنه لا يمكن أن نستحق هذه الخيرية التي نوهرت بها الآية إلا إذا اتبعنا النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، وهأنذا مع بعض القواعد النبوية الرائعة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

قواعد نبوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

١ - النبي الكريم كان يبين الخطأ وينهى عنه ويعطي الدليل :

كان عليه الصلاة و السلام يبين الخطأ ، وينهى عن الخطأ ، ويعطي الدليل ، حينما تنهى ابنك عن رفقاء السوء ، هل هيأت له البديل ؟ حينما تنهى عن المنكر هل هيأت البديل الشرعي ؟ القرآن الكريم حينما قال :

﴿فَكُلُّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة الأعراف : ١٩]

معنى ذلك أن عدد الأشياء المباحة يفوق ملايين المرات الأشياء التي حرمتها الله عز وجل ، عن عبد الله بن مسعود قال :

((كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ قُنْتَنَا : السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِ السَّلَامِ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ ، وَلَكُنْ قُوْلُوكُمْ : التَّحْيَاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيَّابَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُنْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو))

[البخاري عن عبد الله بن مسعود]

هذا شاهد : لا تقولوا كذا ، ولكن قولوا كذا ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (جاءَ بَلَالٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَمْرٍ بَرْنَيٍّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَيْنَ هَذَا ؟ قَالَ بَلَالٌ : كَانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ رَدِيٌّ فَبَعْثَتْ مِنْهُ صَاعِينَ بِصَاعِ لَنْطَعْمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ : أَوْهُ أَوْهُ عَيْنُ الرِّبَا عَيْنُ الرِّبَا لَا تَفْعُلْ وَلَكُنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْتَرِي فِي التَّمْرِ بِبَيْعٍ آخَرَ ثُمَّ اشْتَرِهِ))

[البخاري عن أبي سعيد الخدري]

أيها الأخوة الكرام ؛ من سنة النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا نهى عن الشيء أعطى البديل ، ولو أن كل الآباء و المعلمين والقادة المصلحين بيذروا المنكر ، ونهوا عنه ، وأعطوا البديل ، إذا منعت ابنك من رفقاء السوء فهي له أنها صالحة ، ليكن معك في ذهابك ، و في حلك و ترحالك ، إذا نهيت زوجتك عن صديقات لا ترضى عنهن هيئ لها مجتمعاً إسلامياً ترضى عنه ، في كل شيء إن نهيت عن شيء حاول أن تأتي بالبديل .

أيها الأخوة الأكارم ؛ عن أبي سعيد الخدري :

((أَنْ عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ بَتَمْرٍ رَيَانَ وَكَانَ تَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعِدًا فِيهِ يُبَيْسُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّى لَكَ هَذَا التَّمْرُ؟ فَقَالَ : هَذَا صَاعٌ اشْتَرَيْنَاهُ بِصَاعِينِ مِنْ تَمْرِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَفْعُلْ فَإِنَّ هَذَا لَا يَصْلُحُ وَلَكِنْ بِعْ تَمْرَكَ وَاشْتُرِ مِنْ أَيِّ تَمْرٍ شِئْتَ))

[النسائي عن أبي سعيد الخدري]

أنت مع منهج خالق الأكون ، ولأنه منهج الله عز وجل لا بد من أن يسع الناس في كل زمان ومكان ، لا بد من أن تجد في هذا المنهج القويم حكماً شرعاً لكل مشكلة تحصل إلى نهاية الدوران ، لذلك :

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

[سورة النساء : ٥٩]

وهل يعقل أن نرد إلى لا شيء؟ لا بد أن نجد في منهج الله ، إن في كتاب الله ، وإن في سنة النبي صلي الله عليه وسلم الحكم الصحيح ، فعود نفسك أيها الأب ، عود نفسك أيها المعلم ، عود نفسك أيها الداعية إذا نهيت عن شيء منكر أنت بالبديل المشروع ، لأنه ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناعة نظيفة تسري خلالها ، ليس في الإسلام حرمان ، ولكن في الإسلام تنظيمياً .

من طريقة الشريعة أنها تقدم البديل عوضاً عن أي منفعة محرمة :

أيها الأخوة الكرام ؛ أن نكتفي بالخطئة ، وأن نعلن الحرمة دون تقديم البديل ، أو دون أن نبين ما هو الواجب فعله إذا حصل الخطأ هذا شيء خاطئ ، ومعلوم أيها الأخوة من طريقة الشريعة أنها تقدم البديل عوضاً عن أي منفعة محرمة ، لما حرمت الزنا شرعت النكاح ، ولما حرمت الربا أباحت البيع ، ولما حرمت الخنزير والميته وكل ذي ناب ومخلب أباحت الذبائح من ذبائح الأنعام .

أيها الأخوة حتى لو أن الإنسان وقع في محرم فقد أوجدت له الشريعة مخرجاً ، بالتوبة والكافرة ، كما هو مبين في نصوص الكفارات ، ينبغي على الدعاة الصادقين أن يحدوا حذف الشريعة في تقديم البديل ، وإيجاد المخارج الشرعية .

أيها الأخوة الكرام ؛ التأمين حرام ، ولكن كيف تحل مشكلة التأمين؟ هناك بديل ، التأمين التعاوني ليس مباحاً فقط ، بل هو مندوب إليه ، لو تعاون أناس على جمع مبالغ وضعت في صندوق ، فأي شخص أصيب بكارثة دفع له من هذا الصندوق ، فهذا بديل التأمين الذي حرمه العلماء ، وحرمته الشريعة ، ما من شيء محرم إلا وله بديل ، فالمشكلة أيها الأخوة ليست في الإسلام ، بل في المسلمين ، لكن لا أكتمم أحياناً هناك سلوك محرم ، وقد لا يحضر الداعية البديل ، أو لا يكون هناك بديل ، في مثل هذه الحالة تقول : هذا حرام ينبغي ألا نفعله ، وكمي ،

وانتهت مهمة الداعية ، وحتى تكون واقعيين ، لو أن إنساناً يمارس شهوة محرمة ، يقول لك : انتي بالبديل ، لا يوجد بديل ، البديل الزواج ، وبينك وبين الزواج مسافة طويلة ، عليك أن تتصبر ، لكن حيتماً أمكن أن نأتي بالبديل ينبغي أن نأتي بالبديل ، ليكون المنهج واقعياً ومتوازناً . أيها الأخوة الكرام ؛ في رواية مالك رحمة الله تعالى عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أللله سمع أباه يقول :

((اغْتَسِلْ أَبِي سَهْلٍ بْنُ حُنَيْفٍ بِالْخَرَارِ فَنَزَعَ جَبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ يَنْتَرُ قَالَ : وَكَانَ سَهْلٌ رَجُلًا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجَلْدِ قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جَلْدَ عَذْرَاءَ، قَالَ : فَوْعَكَ سَهْلٌ مَكَانَهُ وَأَشْتَدَّ وَعْكُهُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَ أَنَّ سَهْلًا وَعَكَ وَأَنَّهُ غَيْرُ رَائِحٍ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ سَهْلٌ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ عَامِرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلَامْ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ أَلَا بَرَّكْتَ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ تَوَضَّأَ لَهُ عَامِرٌ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِهِ بِأَسْ))

[مالك عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف]

بارك الله لك في هذا البيت ، بارك الله لك في هذه الصحة ، بارك الله لك في هؤلاء الأولاد ، الموقف الصحيح أنه إذا رأيت خيراً على أخيك أن تبارك له على هذا الخير ، وأن تنتهي على الله الذي خصه بهذا الخير ، لا أن تحسد ، عندئذ يقع الجمل في القدر ، ويقع الرجل في القبر : ((أَلَا بَرَّكْتَ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ تَوَضَّأَ لَهُ عَامِرٌ فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِهِ بِأَسْ))

٢ – عدم مواجهة أحد بما يكره :

من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أنه كان لا يواجه أحداً بما يكره ، فعن أنس بن مالك قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ما بال أقوام يرتفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتختطفن أبصارهم))

[البخاري عن أنس بن مالك]

وفي حديث آخر ، عن عروة بن الزبير قال : قالت عائشة رضي الله عنها قالت : ((دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتري وأعتقي فإنما الولاء لمن اعتق ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم : من العشي فاشتري على الله بما هو أهله ثم قال : ما بال أنس يشتريون شرطًا ليس في كتاب الله من اشتراط شرطًا ليس في كتاب الله فهو باطل وإن اشترط مائة شرط شرط الله أحق وأوثق))

[البخاري عن عروة بن الزبير]

كلمة " ما بال أقوام " لم يوجه المخطئ بخطئه ، لم يفتح المخطئ ، ستره ، و عمّ و قال : ما بال أقوام . وعن عائشة قالت :

((صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخيصاً فيه فتنزه عن قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتذرون عن الشيء أصنعته فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدتهم له خشيته))

[البخاري عن عائشة]

وفي حديث آخر أبى روح عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر فقرأ فيما بالروم فالتبس عليه في القراءة فلما صلى قال ما بال رجال يحضرون معنا الصلاة بغير طهور أولئك الذين يلبسون علينا صلاتنا من شهد معنا الصلاة فليحسن الطهور))

[أحمد عن أبي روح]

أيها الأخوة ؛ أول منهج في أمر النبي بالمعروف ، و نهيه عن المنكر أنه قدم البدائل ، إذا كان هناك بدائل ، والمنهج الثاني أنه كان لا يواجه أحداً بما يكره ، كان يعمم ولا يخص ، و القاعدة الذهبية التي تقول : لا نكفر بالتعبيين ، لا نقول : فلان كافر ، نقول : من قال كذا فقد كفر ، ومن فعل كذا فقد كفر .

٣ – إثارة العامة على المخطئ في ظروف معينة :

ومن منهج النبي صلى الله عليه وسلم وفي ظروف معينة إثارة العامة على المخطئ ، فعن أبي هريرة قال :

((جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ : اذْهَبْ فَاصْبِرْ فَتَاهُ مَرْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَانِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخِبِّرُهُمْ خَبَرَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ وَفَعَلَ فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ لَأَ تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ))

[أبو داود عن أبي هريرة]

طريقة قد تجدي أحياناً ؛ أن تهيء ضغطاً شديداً من العامة على هذا المسيء ، فلعله يرتد عن إساءته .

٤ – يتتجنب إعانة الشيطان على المخطئ :

ومن أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه يتتجنب إعانة الشيطان على المخطئ ، فعن عمر بن الخطاب :

((أَنْ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَكَانَ يُلْقَبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأَتَيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجَدَهُ فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ الْقَوْمِ : اللَّهُمَّ أَعْنِنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَلْعُنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ))

[البخاري عن عمر بن الخطاب]

هنا نفرق بين معصية الكبر التي تلبسها الشيطان ، قال تعالى :

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾

[سورة الحجر : ٣٣]

وبين معصية الغلبة ، فهناك عصاة مغلوبون على أمرهم ، لا نستطيع أن ننفي عنهم الإيمان ،
قال عليه الصلاة والسلام لهذا الذي شرب الخمر :

((لَا تَلْعُنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ - أَيْ بحسب علمي - إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ))

وعن أبي هريرة قال :

((أَتَيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِكْرَانَ فَلَمَّا بَضَرَبَهُ فَمِنَا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ ، وَمِنَا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ ، وَمِنَا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثُوْبِهِ ، فَلَمَّا اتَّصَرَّفَ قَالَ رَجُلٌ مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ))

[البخاري عن أبي هريرة]

المؤمن الصادق إذا رأى صاحب معصية ، في نفسه يحمد الله عز وجل أن عفاه الله من هذه
العصيبة ، ويدعو له بالتوبة ، أما أن يسبه ، وأن يشتمه ، وأن يشهر به ، فهذا ليس من سنة
النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي رواية لهذا الحديث أخرى عن أبي هريرة :

((وَلَكِنْ قُولُوا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ))

[أبو داود عن أبي هريرة]

فعل الله يستجيب . وفي رواية ثالثة : عن أبي هريرة :

((قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَخْزَاكَ اللَّهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَقُولُوا هَذَا لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ وَلَكِنْ قُولُوا : رَحِمَكَ اللَّهُ))

[أحمد عن أبي هريرة]

غفر الله لك . لم يبعث النبي لعاناً ، بعث هادياً للأمة ، يُروى أن أمبا حنيفة النعمان رضي الله عنه له شاب كان يغنى ويزعجه طوال الليل ، وكانت أغنيته المفضلة : أضاعوني وأي فتى أضاعوا فلما وقع في حبس الخليفة ذهب أبو حنيفة وخلصه من السجن ، وفي طريق العودة إلى البيت قال : يا فتى هل أضعناك؟ أي قلب المؤمن يتسع لأخطاء الناس ، يرشدهم إلى الصواب دون أن يعين الشيطان عليهم ، يرشدهم إلى الصواب بتؤدة ، وبرفق ، يدعو لهم .

٥ - يطلب الكف عن الفعل الخاطئ فوراً :

أيها الأخوة الكرام ؛ ومن أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه كان يطلب الكف عن الفعل الخاطئ فوراً ، فعن ابن عمر رضي الله عنه عن عمر أنه قال :

((لَا وَأَبِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَهْ إِنَّهُ مَنْ حَفَّ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ))

[أبو داود عن عمر]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ :
(كُنْتُ جَالِسًا إِلَى جَانِبِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ : جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رَقَابَ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيْ أَجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ))

[النسائي عن عبد الله بن بسر]

والقصة التي تعرفونها أن أحد خلفاءبني أمية جاء حاجاً فطلب عالماً ينتفع بعلمه ، فجاؤوا الإمام مالك ، فقالوا : الخليفة يطلبك ، فقال هذا الإمام : قولوا لهارون : إن العلم يؤتي و لا يأتي ، فقال : صدق ، نحن نأتيه ، ثم قال : قولوا له ألا يتخطى رقب الناس إذا أتى ، ليجلس حيث ينتهي به المجلس ، قال : صدق ، فلما جاء هذا الخليفة إلى مسجد الإمام مالك ، أو إلى مكان درسه أعطوه كرسياً ، فقال : من تواضع الله رفعه ، ومن تكبر وضعه ، قال : خذوا عني هذا الكرسي ، أي حينما تعرف قيمة العلم يعز الله العلم ، أما حينما يزهد الناس بما عند العالم ، وهو يطمع بما عندهم فانعكست الآية ، حينما سئل الإمام البصري : بم نلت هذا المقام؟ قال : "باستغناي عن دنيا الناس ، وحاجتهم إلى علمي " ، إذا استغنى الناس عن علم العلم ، واحتاج هذا الذي يدعو إلى الله إلى ما عند الناس ، وبذل ما ووجهه سقط العلم.

أيها الأخوة الكرام : من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه .
وروى الترمذى عن ابن عمر قال :

((تَجَشَّا رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : كُفَّ عَنِّا جُشَاعَكَ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعَا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[الترمذى عن ابن عمر]

إنسان أكل أكلاً غير معقول ، وجلس جلسة غير معقولة ، وبدأ يتجلشأ في مجلس علم ، أو في خطبة الجمعة ، هذا والله يتنافى مع آداب الإسلام ، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أشد الناس تواضعاً ، وما رأي ماداً رجليه بين أصحابه .

أيها الأخوة الكرام ؛ كان عليه الصلاة و السلام من أساليبه في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أنه يرشد المخطئ إلى تصحيف خطئه ، علّمه مرتين ، أحياناً أحد علماء التجويد يقرأ آية ، والطالب أمامه ، يقول له : أعد ، أو يخطط له على طاولة ، هذا الطالب ينبغي أن ينتبه أين الغلط وهذا طريق تربوي رائع جداً ، روى أبو سعيد الخدري :

((أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى رَجُلًا جَالِسًا وَسَطَ الْمَسْجِدِ مُشَبِّكًا بَيْنَ أَصَابِعِهِ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَقْعُنْ ، قَالَ : فَالْتَّفَتَ إِلَى أَبْيِ سَعِيدٍ فَقَالَ : إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلَا يُشَبِّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَإِنَّ التَّشْبِيكَ مِنْ الشَّيْطَانِ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَزَالُ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ))

[أحمد عن أبي سعيد الخدري]

ما دمت في المسجد فأنت في صلاة ، جلسة غير مؤدية ، حركة غير مؤدية هذا مما نهى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومرة ثانية ؛ من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقول : أعد ، لينتبه المخطئ إلى خطئه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه :

((أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصْلِ فَرَجَعَ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ فَارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصْلِ فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا عَلَمْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ إِذَا قَمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْبِغْ الْوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَبْرِلْ الْقُبْلَةَ فَكَبِرْ ثُمَّ افْرَأِ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ ثُمَّ تَطْمَئِنْ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنْ سَاجِدًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنْ جَالِسًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَسْتَوِيَ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنْ جَالِسًا ثُمَّ افْعُلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلُّهَا))

[الجماعة واللقط البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

ومرة قلت لكم : قوام الدين والدنيا أربعة رجال؛ عالم مستعمل علمه ، و جاهل لا يستكشف أن يتعلم ، علمني يا رسول الله؟ - أرأيت إلى هذا الطلب المعقول؟ - علمني يا رسول الله؟ جاهل لا يستكشف أن يتعلم ، من الذي لا يسأل؟ هو المتكبر ، من الذي لا يسأل؟ هو المستحيي ، فالمستحيي لا يتعلم ، و المتكبر لا يتعلم ، فلا يمنعك حياء غير مقبول ، ولا كبر مذموم أن نتعلم، قال :

((عَلِمْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ : إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْتِبِّنُ الْوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَقِبِّلُ الْقِبْلَةَ فَكِيرْ ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَ رَاكِعاً ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَ سَاجِداً ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَ جَالِسًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَ سَاجِداً ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَ جَالِسًا ثُمَّ افْعُلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا))

[الجماعة واللقط البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

من صفة المربي أن يكون يقطأ لأفعال من حوله ، و المخطئ إن لم ينتبه لخطئه ينبغي أن يتبه ، و عن جابر بن عبد الله قال :

((رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ الظُّفَرِ عَلَى قَدَمِهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يُعِيدَ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ قَالَ : فَرَجَعَ))

[ابن ماجه عن عبد الله بن الخطاب]

أيها الأخوة الكرام :

((عَنْ كَلَدَةَ بْنِ حَنْبِلْ أَخْبَرَهُ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أَمْيَةَ بَعْثَهُ بْلَيْنَ وَلَبَّا وَضَغَابِيسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَعْلَى الْوَادِي قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسْلِمْ وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْجِعْ فَقْلُ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُ))

[الترمذى عن كلدة بن حنبيل]

ومما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن ابن عباس عن النبي صلوات الله عليه وسلم قال :

((لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِإِمْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَةً وَأَكْتَبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَّا وَكَذَّا ؟ قَالَ : ارْجِعْ فَحْجَ مَعَ امْرَأَتِكَ))

[البخاري عن ابن عباس]

وعن عبد الله بن عمرو قال :

((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنِّي جِئْتُ لِأُبَيِّعَكَ وَتَرَكْتُ أَبْوَيِّ يَبْكِيَانِ ، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتُهُمَا))

[أحمد عن عبد الله بن عمرو]

٧ – إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً ينكر الخطأ منه فقط دون أن يعلم :

أيها الأخوة الكرام ؛ ومن آداب النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً ينكر الخطأ منه فقط ، دون أن يعلم ، لكن هناك أنساً كثرين لمجرد أن يرى الخطأ ينكر على الشخص كل أفعاله ، و كل أقواله ، و يرفضه رفضاً كلياً ، في بعض الأحاديث عن خالد بن ذكوان قال : قالت الريان بنت معاذ بن عفراء :

((جاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ حِينَ بَنِي عَلَيٰ فَجَلَسَ عَلَى فَرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنْيَ فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتُ لَنَا يَضْرِبُنَّ بِالدَّفَّ وَيَنْدِبُنَّ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ ، فَقَالَ : دَعَيِّ هَذِهِ وَقُولِي بِالذِّي كُنْتِ تَقُولِينَ))

[البخاري عن خالد بن ذكوان]

هذه الفقرة لا تجوز ، أنا لا أعلم الغيب :

((فَقَالَ دَعَيِّ هَذِهِ وَقُولِي بِالذِّي كُنْتِ تَقُولِينَ))

أي الإنسان لا يهدى عمله كلـه .

وفي حديث أخير ؛ عن نافع :

((أَنَّ رَجُلًا عَطَسَ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ : ابْنُ عُمَرَ وَأَنَا أَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَلَيْسَ هَذَا عَلَمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمَنَا أَنْ نَقُولَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ))

[الترمذى عن نافع]

تلخيص لما سبق :

أيها الأخوة الكرام ؛ نستعيد أساسيات هذا الموضوع ، إن أردت أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر فابحث عن البديل ، فإن لم تجد فابق على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، ولكن إذا كان هناك بديل الأولى أن ترسم لهذا الذي أنكرت عليه البديل ، ثم لا تعن الشيطان عليه ، و لا تقضمه ، عمّ و لا تخصص ، وهذه بعض أساليب النبي صلى الله عليه وسلم .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملـك الموت قد تخطـانا إلى غيرنا ، وسيتخطـى غيرنا إلينا ، فلنتحـذر حـذـرـنا ، الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هوـها ، وتمـنى على الله الأمـاني .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدـه ورسولـه ، صاحـبـ الخـلقـ العـظـيمـ ، اللـهمـ صـلـّـيـ وـسـلـّـمـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ .

استيعاب الحق يعني عن استيعاب الباطل :

أيها الأخوة الكرام ؛ هناك شطر لبيت من الشعر : والنـاسـ فـيـ أوـهـامـهـ سـجـنـاءـ ومنـ الأـدـعـيـةـ التـيـ تـهـزـ مشـاعـريـ : " اللـهمـ أـخـرـجـنـاـ مـنـ ظـلـمـاتـ الـجـهـلـ وـ الـوـهـمـ ، إـلـىـ أـنـوـارـ الـمـعـرـفـةـ وـ الـعـلـمـ ، وـمـنـ وـحـولـ الشـهـوـاتـ إـلـىـ جـنـاتـ الـقـرـبـاتـ " ، المشـكـلةـ أـيـهـاـ الـأـخـوـةـ أـنـ هـنـاكـ أـوـهـاماـ فـعـلـهـاـ فـيـ النـفـسـ كـفـلـ العـقـائـدـ تـمـاماـ ، أـوـهـامـ تـغـدوـ عـقـائـدـ زـائـغـةـ ، يـبـنـىـ عـلـيـهـاـ موـاقـفـ ، فـحـبـذـاـ لـوـ أـنـ

10

خـ ١ـ - مـوـلـدـ الرـسـوـلـ صـلـّـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّـمـ ٣ـ (ـمـنـهـجـهـ فـيـ الـأـمـرـ بـالـمـعـرـفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ ٢ـ)

كلاً منا عمل مسحًا لما يتوهمه وما يعتقد خطأً ، عمل مسحًا وجردًا- إن صح التعبير- لكل ما يعتقد ، فإن رأى أن هذه العقيدة مأخوذة من كتاب الله رسخها وعمل بها ، وإن كانت مأخوذة من كلام إنسان ، أو من خطبة جاهل ، أو من تعليق مفتر نزعها وأحلّ محلها العقيدة الصحيحة، لا بد من أن تعرف الحق ، ومن طبيعة معرفة الحق أنه ينفي الباطل ، أما تجد أنساً متوهمن أوهاماً لا أساس لها من الدين ، وينبئ عليها تصرفات وموافقات وغضب ورضا ، ومنع وعطاء ، وكلها أوهام في أوهام ، فالخطورة في الأوهام ، العقيدة لا يمكن أن تستنقى إلا من الكتاب والسنة، وما سوى ذلك كلام في كلام ، نحن رجال وهم رجال ، ما جاءنا عن صاحب القبة الخضراء فعلى العين والرأس ، وما جاءنا عن سواه فنحن رجال وهم رجال ، و الحق بيننا هو المقياس ، أما أن تعتقد شيئاً لا أصل له في الدين ، وهم في وهم ، ويرسخ كما ترسخ العقيدة ، وتبني على هذا الوهم علاقتك مع الآخرين ، وتبني مع هذا الوهم موافقك ، وهذا خطأ كبير ، وقد ذكرت لكم كثيراً أن أزمة أهل النار أزمة علم :

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَا فِي أَصْحَابِ السَّعْيِ﴾

[سورة الملك : ١٠]

أزمة أهل النار أزمة علم .

فيما إليها الأخوة ؛ لا بد من طلب علم بشكل حديث ، أما خطبة من جمعة إلى جمعة، وكلمة في عقد قران ، ومقالة تقرؤها في كتاب ، هذا لا يصنع إيماناً قوياً يحجزك عن معاصي الله ، لا بد من أن تطلب العلم طلباً حثيثاً ، لا بد من أن تتعرف على الحق ، أن تستوعب الباطل هذا مستحيل ، لأن الباطل متعدد :

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقُ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

[سورة الأنعام : ١٥٣]

أنواع الأباطيل لا تعدو لا تحصى ، يغريك عن استيعاب الباطل أن تستوعب الحق، استوعب الحق يكن لك مقياساً ، فأي شيء خالف ما جاء في الوحيين ؛ الكتاب والسنة فهو مرفوض ، وأنت مع خالق الأكون ، ومع المنهج القويم ، و الصراط و المستقيم .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيما هديت ، وعافنا فيما عافت ، وتولنا فيما تولى ، وبارك الله لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليه ، وإنه لا يذل مَنْ واليت ، ولا يعز مَنْ عاديت ، تبارك ربنا وتعاليت ، ولَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا قَضَيْتَ ، نستغفر لك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، أصلاح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، أصلاح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، أصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، اجعل الحياة زادنا لنا من كل خير ،

واجعل الموت راحهً لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهلك عنا سترك ، ولا تنسنا ذرك يا رب العالمين ، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم ، فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين ، اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها بالإقتار ، فسأل شر خلقك ونبتلى بحمد من أعطى وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولـي العطاء ، وبـيدك وحدك خزائن الأرض والسماء ، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عصـال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السـلب بعد العطاء مولانا رب العالمين .

والحمد للـه رب العالمين